

# آخر الأيام

مكرم مشرفي

## مقدمة

آخر الأيام... تعبير رائع نسمعه كثيرًا. يستخدم الناس بجملتهم في مناسبات عديدة هذا التعبير مرارًا وتكرارًا. أحيانًا يقولونه وعلامات التعجب ظاهره على وجوههم، وأحيانًا يحلّ الألم أو اليأس فيصعدون زفرةً أو نهدةً وهم يتمتمون... آخر الأيام.

إنه تعبير يُظهر استفحال خراب الإنسانية بجملتها بسبب عدم وجود علاقة حقيقية وصحيحة مع الله. هذا الخراب يظهر بشكل واضح في كل ناحية من نواحي الحياة، فمنذ سقط الإنسان في الخطية وابتعد عن محضر الله والإنسانية تعيش دورًا بعد دور في جو الخطية البائس.

تشهد الكتب المقدسة وكذلك المؤرخون والرواة يسردون قصصًا عن قساوة الإنسان عبر التاريخ. أما الحفريات الأثرية فتكشف عمّا خلفته أيدي البشر من دمار وانتهاك لصورة الله التي خلقوا على مثالها.

سنحاول في هذه الصفحات أن نستعرض الحالة ليس دون أن نقدّم الحل الإلهي للمشكلة، فالمشكلة عويصة والوضع مؤلم وليس غير الله من يستطيع لمس هذه الحالة المستعصية وشفائها. هو الذي خلق الإنسان وهو القادر أن يخلصه ويشفيه الى التمام.

## الكلام الأول

في القسم الأول من هذا الكتاب سنتأمل مقطعًا من كلمة الله كتب نحو ألفي سنة ويستعرض حالة الناس في آخر الأيام.

ولكن إعلم هذا أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة، لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم، محبّين للمال، متعظمين، مستكبرين، مجدّفين، غير طائعين لوالديهم، غير شاكرين، دنسين، بلا حنو، بلا رضى، ثالبيين، عديمي النزاهة، شرسين، غير محبين للصلاح، خائنين، مقتحمين، متصلّفين، محبين للذات دون محبة الله، لهم صورة التقوى، ولكنهم منكرون قوتها. فأعرض عن هؤلاء.

الناس يكونون محبين لأنفسهم

أحد أبرز صفات الناس في الأيام الأخيرة هي محبة الذات. صحيح أننا جميعًا بطبيعتنا نحب أنفسنا لكن الأنانية البغيضة هي المقصودة هنا. قد يقول الشخص أنه يحب الله وكل الناس، لكن أعمال كلِّ منّا تشهد علينا وتُظهر أنّ محبتنا لذواتنا ورغبتنا في إرضائها مستفحلة، وهي كما سنرى محور تدور حوله الموبقات والشُرور جميعًا، وهكذا يعيش الإنسان لنفسه فقط، محاولاً أن يرضيها بكل الوسائل المتاحة.

إننا نرى بوضوح محاولات الانسان لإظهار نفسه، ولكي يستمر الشخص متربّعاً على عرش الذات، نراه لا يتورع عن ازدراء الآخرين، بل قد يدوس غيره غير عابئٍ بأحدٍ... إلّا بنفسه؟

### محبّين للمال

من الطبيعي أنّ محبة الذات تظهر في محبة المال. دعنا نقول بوضوح أن المشكلة ليست في المال والذي يستعمله الجميع كوسيلة للتعامل في البيع والشراء بعد أن انتهت طريقة المقايضة في كلّ العالم تقريباً. إنّ المشكلة الصعبة هي "محبة المال" التي هي أصل لكل الشرور ومن يسير في ركب هذه المحبة الفاسدة، يضلّ عن الإيمان والاتكال على الله ويسبّب لنفسه ولغيره آلاماً كثيرة.

كان الملك سليمان غنياً، لكنه كان حكيماً أيضاً وقد وضّح الفرق بين المال كبركة وبين التعلّق المرّضي به فقال: " كل إنسان أعطاه الله غنى ومالاً وسلّطه عليه حتى يأكل منه ويأخذ نصيبه ويفرح بتعبه فهذا هو عطية الله"، لكنه قال أيضاً: " من يحب الفضة لا يشبع من الفضة ومن يحب الثروة لا يشبع من دخل". ( سفر الجامعة ٥: ١٠، ١٩). وفي طريق السعي الحثيث اللاهث نحو الغنى هناك نجاسات كثيرة فالمستعجل الغنى لا يبرأ (سفر الأمثال ٢٨: ٢٠).

افحص نفسك! هل كلّ شئ في نظرك قابل للبيع؟ ... هل يشمل ذلك الضمير والأخلاق والقيم؟ إن كان جوابك نعم، فأنت إذًا وللأسف غارق في مستنقع محبة المال، والله وحده هو الذي يقدر أن ينقذك منه.

أرجوك! لا تظنّ أنّ هذا النوع من الإدمان هو للأغنياء فقط، فقد تكون فقيراً لكنك تعبد المال أيضاً.

**انظروا وتحفظوا من الطمع. فانه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله  
وضرب لهم مثلاً قائلاً: إنسان غني أخصبت كورته، ففكر في نفسه قائلاً ماذا اعمل، لان ليس لي  
موضع اجمع فيه أثماري؟ وقال: أعمل هذا: أهدم مخازني وأبني أعظم، وأجمع هناك جميع  
غلاتي وخيراتي، وأقول لنفسي: يا نفس لك خيرات كثيرة، موضوعة لسنين كثيرة. استريح**

وكلي واشربي وافرحي! فقال له الله: " يا غبي! هذه الليلة تطلب نفسك منك، فهذه التي أعدتها لمن تكون؟ هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنيا لله" (انجيل لوقا ١٢: 15-21).

### متعظمين

تستمر السلسلة إذ أنّ محبة المال تجعل الناس متعظمين مفتخرين بكثرة غناهم، يسعون لتحقيق كل ما تشتهيهم نفوسهم.

أه... لو كان الإنسان يذكر دائماً أنّ كل عطية صالحة وكل بركة روحية ونفسية واجتماعية ومادية هي من الله، لما كان للتعظم مكان! لكن تذكّر العطية والتمتع بها، دونما تقدير لله الذي أعطاه، تفود الإنسان إلى الافتخار بعلمه أو كثرة أمواله أو أملاكه.

طبعاً هناك الكثيرون من المحسنين الأسخياء، وما أحوج مجتمعاتنا لمثل هؤلاء، لكن كثيرين منهم يبتغون الشهرة والتقدير والمكانة وليس العطاء البعيد عن الأنظار، أي العطاء لمجرد العطاء. نسمع عن فلان أنه قدّم أو سيقدم مبلغاً كبيراً من المال لمؤسسات أو لمحتاجين، لكنك تجده يحرص على نشر ذلك مراراً وتكراراً في وسائل الإعلام وبشكلٍ مفصل حتى نملّ من السماع عن ذلك المشروع والإشادة المتكررة بهذا المحسن العظيم!!

### مستكبرين

أراد الناس قديماً أن يصلوا إلى السماء فبنوا برج بابل فبلبل الله ألسنتهم فلم يصلوا إلى الله بل وخسروا حتى لغة التواصل فيما بينهم. إن المتكبر يعبر بالفكر والقول والعمل، أنه أفضل من الآخرين... أحسن وأشرف وأعلى من الكل. يبدأ أحدهم بالافتخار بمركزه الاجتماعي أو بوضعه الاقتصادي وأحياناً بحسبه ونسبه وربما بموهبة باركه الله بها، ويا للعجب! بدل التواضع وشكر الله على عطياه، ترى الكبرياء والانتفاخ يسود على البشرية بجملتها.

قمة السخرية هي أن الصغير والكبير يعلمان أن حساباً ضخماً في البنك أو لقباً جامعياً أو مركزاً اجتماعياً وكل الممتلكات من عقارات وسيارات وغيرها كلها أشياء وقتية. منها ما سيزول أو يصبح قديماً وهناك ما سيفقد بريقه بمرور الزمن... فعلام الافتخار!؟

### مجدّفين

لاحظ أن الكبرياء تقودنا للهجوم بل والتعدّي على الآخرين بكلامنا، لكن الطامة الكبرى هي أن المتكبر يجتف أيضاً على الله ولا يقبل شخصه ويهاجم كلامه المقدس. للأسف، فإن شخص المسيح وخلصه للبشريّة، لهما نصيب الأسد عادةً في تجديف المجتفين. إنه حضيض الفساد البشري الذي يحاول الإنسان به أن يظهر كإله مكرراً بذلك الوهم الذي غرسه إبليس في ذهن أمنا حواء في جنة عدن: " وتكونان كالله" (سفر التكوين ٣: ٥) وقد استساغ الملك هيرودس عندما قال عنه أهل صور وصيدا: " هذا صوت اله لا صوت إنسان" (سفر أعمال الرسل ١٢: ٢٢).

### غير طائعين لوالديهم

هل تصدّق أنّ من يجتف على الله، يمكن أن يحترم ويطيع والديه بشكل صحيح؟ إنّ إكرام الوالدين هي الوصية الخامسة في الوصايا العشر، لكنّ الوصايا الثلاث الأولى تتعلّق بعبادة الله واحترامه، فمن يتعدّى على الله ولا يعتبره، لا يمكن أبداً أن يقدر والديه حق تقدير. بكلمات أخرى فإنّ عدم الخضوع لله سيظهر دون شك في عصيان الوالدين، وهكذا قلّت هيبة وسلطة الوالدين كثيراً ممّا أدّى بالتالي إلى التفكك المستمر للعائلات.

حاول اليهود المساومة على ذلك قديماً عندما أنشئوا تقليداً يحلّ محل الاهتمام بالوالدين لمن يقدم عوضاً عن ذلك مالا للهيكل، فكان ذلك إبطالاً لوصية الله في إكرام الوالدين.

### غير شاكرين

تستمر السلسلة إذ أنّ من لا يقدر والديه الذين أنجباه وربّياه، فمن المؤكّد أنه لا يحترم ولا يشكر الآخرين. أه كم نفتقد التقدير والشكر والعرفان بالجميل في هذه الأيام!! مرّة أخرى يظهر أنّ أسوأ ما في الأمر هو انعدام الشكر لله على خليقته ومحبّته وعنايته وخلصه ورحمته.. ما أصعب كلمة " جاحد" وكأني بالإنسان يقول لله: ابعد عنّا وبمعرفة طرّفك لا نسرّ. من هو القدير حتى نعبده وماذا ننتفع إن التمسناه" (سفر أيوب ٢١: ١٤ - ١٥).

كم ممّا يشكر الله على نسمة الحياة وعلى الأشياء اليومية الأساسية من هواء ومأكل ومشرب؟ لكن إن كنّا لا نقدر ذلك فلماذا نشكر الآخرين؟؟

في السنوات الأخيرة، ألاحظ كمدرّس أكثر وأكثر ندرة استخدام كلمات مثل: شكراً، من فضلك وغيرهما من الكلمات الدمثة، حتى يُخيّل لي أحياناً أنّها قد تختفي سريعاً من قاموس حياتنا.

### دنسين

تتوالى الصفات الدنيئة في هذه القائمة السوداء التي تفضح حقيقة شرّ الإنسان، وهذا ما يفعله الله فينا، فهو أولاً يصار حنا بحقيقة مرضنا كطبيب حكيم وأمين ومن ثمّ يقدم لنا الدواء. إن للجحود

(عدم الشكر) متلازمة قبيحة اسمها الفجور، فعدم الإيمان بالله يقود إلى عدم التقدير وسريعاً يصل إلى التسيّب والفساد. اسمع ما قاله داود النبي قديماً: قال الجاهل في قلبه ليس اله. فسدوا ورجسوا بأفعالهم، ليس من يعمل صلاحاً. الرب من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من فاهم طالب الله. الكل قد زاغوا معاً فسدوا، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد. (سفر المزامير ١٤: ١-٣).

أسوأ ما في الأمر أنّ كثيرين منّا يشاركون في فعاليات اجتماعية خيرية وأحياناً دينية، دون أن يكون لواحدنا علاقة شخصية مع الله. ما هي دوافعنا وأهدافنا للمشاركة في مثل هذه الأعمال الخيرية المبارك؟؟ سؤال للضمير!!

ما أكثر ما نسمع اليوم التبريرات للمثلية الجنسيّة (الشذوذ) وللعلاقات النجسة خارج اطار الزواج بكل أشكالها وأسمائها، أمّا استباحة كل الوسائل للسرقة والتعدّي على الآخرين فحدّث ولا حرج. **بلا حنو**

أين نحن من الحنان والعواطف الإنسانية في وسط عالم تميّزه اللامبالاة، فالأخ والأخت والأصدقاء صار يميّزهم الافتقار إلى المشاعر الإنسانية الأساسية. كيف لا وهم يعيشون في عالم بلا قلب.

إنّ هذه الصفة تنحدر بالإنسان الذي خُلق على صورة الله، إلى مستوى أدنى من الحيوانات التي تحنو على صغارها.

لاحظ أنّ مؤسسة العائلة تأدّت كثيراً من استفحال هذه الصفات المذكورة. عدم طاعة الوالدين، الفساد الأخلاقي وتضعف رباط العواطف البشريّة، كلّها تساهم في خراب العائلات، لكن السبب الأساسي هو أن الله ليس هو حجر الأساس التي بُنيت عليه تلك العائلات، لذلك ويا للأسف، فسقوطها سريع ومريع.

### **بلا رضى**

هل يمكن لمن يرفض ويقاوم العواطف الإنسانية أن يرضى ويقنع؟ إنه حتى لا يقبل أو يلتزم بعهد، لأنه أصلاً لا يتنازل عن مواقفه بأيّ حال من الأحوال. أيضاً من لا يحافظ على العهود، لا يمكن التفاهم معه للوصول إلى حلول وسطية توافقية.

إنّ عدم الرضى ينشئ التذمر المستمر لأنّ الإنسان يريد المزيد من كل شيء، ليس مجرد طموح بل طمع في كل شيء.

### **ثالبين**

اتهامات، وشوشات، نميمة وشكوى على الآخرين، ليست هذه فعاليات لتمضية الوقت، لكنها من صفات الشيطان المشتكي على إخواننا... أمام إلهنا نهارًا وليلاً. (سفر الرؤيا ١٢ : ١٠). النميمة تدخل عميقًا إلى الإنسان وتشوش أفكاره صورة الآخرين فتعطل العلاقة معهم. إن ذلك الغارق في هذه الصفة الرديئة، تتغلغل فيه عميقًا روح الانتقام، فيستغل كل فرصة سانحة لظعن وتجريح الآخرين وبخاصة في غيابهم. لاحظ أن الشخص الذي يمارس هذه الخطية يستثني الله المحب من حساباته، لذلك قيل عن مثل هؤلاء " نمامين مفترين مبغضين لله ثالبيين متعظمين مدّعين مُبتدعين شرورًا" (رسالة رومية ١ : ٣٠). هكذا وضعت كراهية الله في وسط هذه القائمة الفاسدة، فمن لا يحب الله لا يستطيع أن يحب الآخرين ويذكرهم بالخير.

### عديمي النزاهة

"الغاية تبرّر الوسيلة" ليست مجرد قول مكيفي المأثور، لكنها أسلوب حياة كثير من الناس. إنه طريق مفتوح وتصريح مشروع للتصرف كيفما نريد بغرض الوصول إلى غايتنا المنشودة. هنا طبعًا تُحى كلمات مثل "ممنوع"، أو "غير مناسب" وغيرهما من قواميس الكثيرين. هذا الأسلوب صار سائدًا في الدول والمؤسسات والعائلات فلا أمانة إلا في شعارات الانتخابات والخطب الرنانة التي تتفنّن في..... تظهر هنا صفة عدم الانضباط والتحكّم في النفس والرغبات، مثل سيارة تعطلت فيها المكابح (دواسة البريك)... لكن في حالتنا هذه، ليس اللسان فقط هو المتسبّب، بل كل ما يجب ضبطه، غير مضبوط.

### شرسين

ما أصعبه من مشهد يظهر فيه الإنسان كوحشٍ غير مروّض، ليس عنده حدود ولا قيود ولا ضوابط. إنه يهاجم وينهش ويقتل بلا رادع ولا مانع، فهو كمدينة منهمة بلا سور لأن ليس له سلطان على روحه (سفر الأمثال ٢٥ : ٢٨). من جملة أقوال الله عن جميع فجور الناس أنّهم "مشحونين حسدًا وقتلاً وخصامًا ومكرًا وسوءًا" (رسالة رومية ١ : ٢٩). قد يقول قائل: هذا الوصف يلائم أعتى المجرمين مرتكبي أفظع الجرائم، لكن الصدمة أن المقصود هنا هو الإنسان العادي حسب طبيعته الفاسدة حتى لو كان يلبس أفخر الثياب ويعيش في أرقى المستويات اجتماعيًا وثقافيًا/فكريًا وماديًا... ببساطة: هذا هو الإنسان!

### غير محبّين للصالح

كما إنّ الشيطان هو عدو كلّ خير، يصير من يسير في دربه غير محبٍ للخير ولمن يعمل الخير. إنّهم لا يعملون الشرور فحسب، بل يُسرّون أيضًا بأمثالهم الذين يفعلونها. للأسف، إنهم بعيدون إلى درجة العمى عن كل شيء صالح، فهم غارقون في مزاج فظٍ يكره كل خير حقيقي.

هل تعلم كم من الناس يروّجون للشرّ على مختلف أنواعه ويطوّرون أو يتبنّون أحدث الأفكار النجسة لإغواء الآخرين للانزلاق في بؤرة الفساد. إن الكتاب المقدّس يصفهم بصفات مختلفة في انتاجهم للشر، فيقول مثلاً أنهم يخترعون إثمًا... مبتدعين شرورًا... مشتتهين شرورًا، بل أن فم الأشرار ينبع شرورًا (سفر المزامير ٦٤: ٤، سفر الأمثال ١٥: ٢٨)

### خائنين

الخيانة سمة بارزة في الأيام الأخيرة، فخيانة الأهل والناس صارت طبيعية ففقد الإحساس بشناعة غشّ الآخرين وخداعهم وتضليلهم لأجل مآرب شخصية خسيصة. هل لاحظت أنّه حتى الخيانة الزوجية صارت تسمّى بمسمّيات أخرى وتُعطى ألف مبرّر لإراحة الضمير، لكن عبثًا... إنها خيانة وتعدّ على الله الذي شرّع الزواج وعلى شريك الحياة الذي ارتبطت به بعهد أمام الله. خيانة الأصدقاء والشركاء لأجل المصلحة الشخصية، تكشف روح الغدر والانتقام بأبشع صورها وكيف استشرت في القلوب تعيثُ فسادًا بشراسة وبلا رادع.

### مقتحمين

إنّ من أبرز صفات الأيام الأخيرة أيضًا هي التعدّي، فالناس بجملتها تعيش بلا انضباط، فهم يتكلمون ويتصرّفون دون أن يكون لعقولهم أدنى سيطرة عليهم أو حتى توجيه. من القصص المعبّرة في الكتاب المقدس أحد توأمين أو شك أخوه أن يخرج أولاً من رحم أمه، لكن هذا الآخر عندما أرجع أخوه يده إلى داخل اندفع قبله خارجًا فدعوه "فارص"، أي اقتحام. في أيامنا هذه، قد يسمّى البعض هذا انتهازًا للفرص، ريادة أو طلائعية، لكن عندما يكون الانفلات والدوس على الآخرين والقيم والمبادئ مميّزًا لذلك، فهو اقتحام وتعدّ لا أقل.

### متصّلين

وصلنا إلى الغرور، فبعد أن ابتدأ الإنسان بمحبة الذات والمال متعظّمًا، فإنه يصل بسهولة وسرعة إلى هاوية الغرور والكبرياء. إنها "الأنا" المتربعة على عرش الحياة بلا مساومة وكأن الإنسان لا يرى إلا نفسه. عبثًا قد يقول ذلك الشخص أنه يهتم بالله أو بالآخرين فالعالم كلّ صار يدور حوله وحوله وحده.

مثالهم الأكبر هو الشيطان الذي أراد أن يصعد الى السموات ويرفع كرسيّه... ويصير مثل العلي (سفر أشعياء ١٤: ١٣، ١٤). انه رائد مدرسة العجرفة والمباهاة والرغبة العارمة في الامتلاك مع أنّ مصيره المحتوم هو في جهنّم، كما أعلمه الله. للأسف، فإنّ خريجي هذه المدرسة الفاسدة كثيرون جدًّا ممّن ربطوا مصيرهم بمصير الشيطان البائس، لأنّ النار الابدية معدّة أصلاً لإبليس وملائكته (انجيل متى ٢٥: ٤١).

## محبين للذات دون محبة لله

في هذا المنحدر الرهيب نحو الهلاك، تلمع مفارقة مصيرية، فإما محبة الله أو محبة الذات. بكلمات أخرى، إن لم تكن محبة الله فوق كل محبة، فإن محبة الذات ستحتل مركز الصدارة وتقود الشخص في طريق المتع الحسية والملذات الوقتية التي تدمره ومن حوله. اسمع هذا التشبيه لإنسان سقط في خطية الزنى " ذهب وراءها لوقته كثيرٍ يذهب إلى الذبح... كطير يسرع إلى الفخ ولا يدري أنه لنفسه ( سفر الأمثال ٧: ٢٢ - ٢٣ ).

### لهم صورة التقوى، ولكنهم منكرون قوتها

إن واحدة من سمات الأيام الأخيرة هي التدنّي الظاهري وهي أخطر ما يمكن أن يحدث في حياة إنسان. إنها بكلمة واحدة "قناع" يضعه الشخص ليظهر بمظهر معين أمام الآخرين، مظهر يستسيغه الناس، لكنه يخفي حقيقة الشخص نفسه.

هنا نتكلم عن قناع القداسة والتدينّ الخارجي، إنه مظهر زائف خالٍ تمامًا من القوة الروحية، أي إنها "تقوى بلا قوة". أخطر ما في الأمر أنّ القناع مقنع جدًا ويشكّل - للأسف - غطاءً مثاليًا لعمل الشر. ألا تُصدم بل ونشمئز من كم التصرفات اللا أخلاقية المفضوحة التي يعملها كثير ممّن يتسربلون ملابس التدنّي بأنواعها؟؟ كم من أناس يتشدّقون باسم الأنبياء والأولياء والقديسين ويمارسون الشعائر ويتغنّون بالشعارات الدينية، لكنهم يخفون تحت عباءة التدنّي أشنع الشرور. هل تعلم أنها صورة للوثنية ولو بدّلت زيّها!

يمكن للإنسان أن يخدع الكثيرين ولكن الله عالم بداخل الإنسان وخارجه ولا يمكن خداعه. لماذا يعيش كثير من الناس حياة الرياء والازدواجية، فيحيون في الخطية وفي الوقت ذاته **ينادون** باسم الله وهم يعرفون أنه فاحص القلوب ومختبر الكلى؟

## أنواع المحبة الفاسدة

- لاحظ أننا نتحدث عن أناس متدينون ظاهريًا، لكنهم غارقون بالكلية في ثلاثية خطيرة للغاية:
- (1) **محبة الذات**: أنا ... وبعدي الطوفان، هكذا يقول الكثيرون في السرّ والعلن. صرنا نسمعها على الملأ: لا يهمني أحد آخر، أنا قبل أخي وأمي وأبي وزوجتي وأولادي.
  - (2) **محبة المال**: كان أحد معارفي يقول: أنا أعبد المال، لكن ربّما يكون آخر منه ذلك الذي ينكر ذلك، رغم أنه يعيش حياة العبودية للمال بالكامل.
  - (3) **محبة الذات**: هنا يعيش الشخص حياة التمتع الوقتي بالخطية ولذاتها المتنوعة التي تستولي على كل الكيان.

الخلاصة أن محبتهم لأنفسهم تُنتج تعلقًا بما يُشبع ذواتهم وهو امتلاك المال وإنفاقه في إشباع كل شهواتهم ومُتعمع الحسيّة.

أخيرًا... قد يقول قائلك أنا لست على شاكلة هؤلاء، فأنا لطيف ومؤدب، أساعد الآخرين وأحاول التقرّب إلى الله.

عزيزي، ليس المقصود بهذه الصفات المذكورة تجريحك أو اتهامك أنت أو غيرك، لكنها تستعرض صورة الإنسان في نظر الله. تعلن كلمة الله بصراحة أنه رغم كل إمكانيات ومحاولات الإنسان لإرضاء الله " ليس من يعمل صلاحًا، ليس ولا واحد"

### أكثر من سؤال

هنا لا بدّ من سؤال: هل هناك أحد ليست به الصفات المذكورة؟ أو بتعبير آخر: هل منّا من هو بلا خطية؟؟

نحن نعرف أنفسنا في العمل أو الفعاليات الاجتماعية أو حتى الدينية، وليتنا نمتحن أنفسنا من خلال سؤال طرحناه في البداية: هل لي علاقة شخصية مع الله؟ سؤال مرادف: هل أُرضي الله حقًا، أم هي مجرد محاولات للتقرّب إليه برغبة في إرضائه؟ كل إنسان له كامل الحرّيّة في الإجابة بما يريد، لكن كلمة الله تعلن بوضوح أن أجوبة كل الأسئلة التي طُرحت هي سلبية!

الأجوبة سلبية والصورة قاتمة، لكن الله في المشهد وهو يدعو الجميع أن يأتوا إليه. إنه وقت للرجوع إلى الله... إنه وقت التوبة وباب التوبة دائمًا مفتوح. تعالوا معًا نسمع قصة جميلة عن الرجوع، رواها السيّد المسيح.

### قصة الإبن الضال

وقال: انسان كان له ابنان. فقال اصغرهما لأبيه يا ابي اعطني القسم الذي يصيبني من المال، فقسّم لهما معيشته. وبعد ايام ليست بكثيرة جمع الابن الاصغر كل شيء وسافر الى كورة بعيدة وهناك بذّر ماله بعيش مسرف. فلما انفق كل شيء حدث جوع شديد في تلك الكورة فابتدأ يحتاج، فمضى والتصق بواحد من اهل تلك الكورة فأرسله الى حقوله ليرعى خنازير. وكان يشتهي ان يملا بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله، فلم يعطه احد. فرجع الى نفسه وقال كم من اجير لابي يفضل عنه الخبز وانا اهلك جوعا. اقوم واذهب الى ابي واقول له يا ابي أخطأت الى السماء وقدامك. ولست مستحقا بعد ان ادعى لك ابنا. اجعني كأحد اجراك. فقام وجاء الى ابيه. وإذ كان لم يزل بعيدا رآه ابوه فتحزن وركض ووقع على عنقه وقبله. فقال له الابن: يا ابي اخطأت الى السماء وقدامك ولست مستحقا بعد ان ادعى لك ابنا. فقال الاب لعبيده

أخرجوا الحلة الأولى والبسوه واجعلوا خاتمًا في يده وحذاءً في رجله. وقدموا العجل المسمن وأذبحوه فناكل ونفرح. لأن ابني هذا كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد، فابتدأوا يفرحون. (انجيل لوقا ١٥ : ١١ - ٢٤).

### قصة عائلة

تحكي قصتنا عن رجل كان له ابنان وأراد ابنه الأصغر أن يرث أباه قبل أن يموت. إنها قصة واحد من أراد الاستقلال خارج البيت والتمتع بالمال وبكل ما يشتريه المال في حرية تامة. أمامنا موقف ليس منّا من لم يختبره في يوم من الأيام ولو قليلاً، لأنه ينبع من طبيعة الإنسان التي تسعى للاستقلال عن الله وعن كلّ سلطة عائلية ومجتمعية. ألم يكن مرّة لسان حالي وحالك: أريد أن أعيش على هواي وأحقّق أحلامي وأنفد مخطّطاتي وأتمتع بكلّ ما تشتهي نفسي بلا قيد أو رقيب!

العجيب أنه، وعكس المؤلف في المجتمع آنذاك، وافق الأب أن يعطيه المال والحرية. يمكننا أن نقول أن هذا الأب هو صورة للأب السماوي الذي يعطينا المجال والحرية لاختيار أسلوب حياتنا ومواقفنا بأنفسنا.

### البعد والضياع

سرعان ما أخذ الابن الأصغر نصيبه من الميراث وانطلق بعيداً عن الجميع. ومرّت الأيام... وفرح الشاب بشبابه وماله وابتدأ يحقّق كل ما كانت تشتهي نفسه. أكل وشرب وعمل كلّ ما يرغب وكما يحدث عادةً في مثل هذه الأحوال، ينحدر ذلك المتحرّر الغني إلى بؤرة الشهوات والموبقات. انه يريد أن يذوق كلّ شهوي ويجرّب كل "الممنوعات" التي حُرّم منها طيلة حياته. اسمعه يصرّح: كانوا يقولون لي عن هذا عيب وعن ذاك حرام، هذا لا يليق بك فأنت ابن فلان، احترم سمعة أبوك. الآن كل ما أريد وأشتاق أن أعمله فسوف أتمتع به حتى النهاية، فأنا أريد أن أعيش لنفسي وألنذ في حياتي حتى أحسّ بطعم الحرية. أتوق أن أرى العالم الكبير وأذوق كل ما لذّ وطاب.

يا للأسف، فإنّ هذه الحرية الوهميّة تقود سريعاً إلى الضياع والفجور والنجاسة بكل أنواعها. إن ضياع الانسان يؤدي الى ضياع ما له أيضاً، فحتى المال الذي استخدمه ذلك الفتى، سرعان ما تلاشى فلقد بدّر كل ما عنده وبقي... وحيداً. لاحظ أنه جمع كل شيء وذهب وأنفق كل شيء. ان كل شيء في العالم قد يسرق، يضيع، أو يبدّر ويتبخّر بأسرع ممّا نتصوّر. بكلمات أخرى، أي شيء في العالم يمكن أن يصير لا شيء.

ما أكثر الأحلام التي تجول في أفكارنا كما كانت تُداعب مخيلة هذا الشاب حتى امتلكته، لكن على قدر ما تكون الأحلام والتوقعات كبيرة، تكون الخسارة أليمة والسقوط عظيمًا.

### الابتعاد

بعد أن استنفذت كل الموارد، حدث جوع شديد في المكان الذي كان فيه الشاب، فاضطر أن يعمل في رعاية الخنازير. صحيح أنه عمل قانوني ليس فيه شائبة، لكن تأمل معي هذا الشاب المستهتر الذي ترك بيت أبيه وكان فيه محترمًا وربما مدللًا، قد وصلت به الحال أن يرعى الخنازير بقذارتها ورائحتها الكريهة.

إن كل من يبتعد عن بيت الأب السماوي، سوف ينحدر حتى يصل به المستوى إلى الحضيض، وهل هناك أحط من أن تشتهي أن تشبع من خرنوب الخنازير ولا تُعطى لتأكل؟  
آه منك أيها البائس، يا من بعت الأب الغالي وبذرت المال الرخيص! ماذا بقي لك سوى اليأس والجوع والوحدة؟؟ قد يكون قد وصل إلى هاوية اليأس والبؤس، أو ربما هو على قاب قوسين أو أدنى من الانتحار. ما أصعب فراغ القلب وجوع النفس الأصعب من جوع الجسد.

### عمل الضمير

مع وخز الجوع بدأ أيضًا وخز الضمير، ذات الضمير الذي جعل أبونا آدم الأول يختبئ من الله. عندما يعمل الله في القلب والضمير، يستفيق الإنسان أحيانًا على حقيقة نفسه ووضعه المزريين، ويبدأ روح الله بتوجيه هذا الضال كيما يشعر ويكتشف ليس فقط حالته بل أيضًا شخص الله وصلاحه ويده الممتدة إليه للخير.

بدأ هذا الإنسان يشعر بالاحتياج إلى الله ويا له من شعور!!

### فرجع إلى نفسه

عندما وصلت حالة هذا الإنسان إلى الحضيض ماديًا، نفسيًا واجتماعيًا... وأفلس من كل ناحية، بدأت براعم التوبة تظهر في زوايا حياته المحطمة.

رجع إلى نفسه وبدأ يراجع نفسه. انهمرت دموعه وهو يقول في نفسه: لقد خسرت كل شيء ووصلت إلى أسفل الدرك. بذرت كل ما أخذته من أبي، وكل الذين ادّعوا أنهم أصدقائي اختفوا بعد آخر فلس دفعته عنهم!! يا ويلي، أين كنت وأين صرت؟ أنا الإبن الصغير الغالي صرت راعي خنازير!!

### أقوم وأذهب إلى أبي

الاقتناع العقلي بتعاستنا واحتياجنا إلى الله مهم جدًا، لكن إن لم يصاحبه قرار بإرادة ثابتة فإننا نبقى في حالة التعاسة والشعور **بالإحتياج**. أيها العزيز، هل تريد أن ترجع إلى الله بكل قلبك؟ إذن

نَفَّذَ ما اقْتَنَعَتْ بهِ ولا تَوَجَّلَ اتِّخَاذَ الخُطْوَةِ الحاسِمةِ. الربُّ يفتَحُ لك بابَ الرجوعِ ولكنك بحاجة أن تخطو خطوة الرجوع بإرادتك الحرّة.

ربما كان هذا الشخص سعيدًا عندما ترك البيت، لأنَّ عنده الكثير ليكسبه، لكن في طريق الرجوع إلى أبيه لم يكن لديه ما يخسره. قد تكون قد جرّبت العالم بملذّاته وشهواته وخطاياها، لكن عندما تشعر بالإفلاس وتستجيب لله الذي يجذبك بمحبته، ستري بعين الإيمان أن كل ما مضى كان بالحقيقة حفنة من الخلاعة والتجديف والقباحة.

### أخطأت إلى السماء وقدامك

مراجعة النفس وإعادة الحسابات لكل ما حدث في حياتي هو أمرٌ هامٌّ في طريق العودة إلى أحضان الله. لقد اعتبر هذا الشاب تركه لبيت أبيه خطية في حقّ الله وفي حقّ أبيه، فانكسر حزينًا على خطيئته، لكن ليس حزنًا يائسًا بل حزن مبارك أنشأ في قلبه التوبة.

التوبة ليست مجرد الحزن على الخطية، بل الابتعاد عنها أيضًا. أيضًا ليس هناك توبة حقيقية، دون إصلاح المواقف تجاه من أخطأت إليه، الله أولاً ثم الآخرين. التوبة هي قناعة قلبية أعلن من خلالها بوضوح أنني أريد تغيير الفكر الخاطئ تجاه الله باعترافٍ واضح، كما قال داود النبي: "إليك وحدك أخطأت والشرّ قدام عينيك صنعت" (مزمو ٥١: ٤).

التوبة هي رجوع بانكسار إلى الله من كل القلب لنوال الغفران. هي خطوة أقول فيها: يارب، أنا خاطئ غير مستحق فأرجوك أن تقبلني.

### رآه أبوه فتحنن

"وإذ كان لم يزل بعيدا رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله." (٢٠)

مهما كان وضعك فإنّ قلب الله المحب الحنان تنتظرك، إنه حتى ينتظر أبسط خطوة تعبّر انك تريد الرجوع إليه. إن شوق الله إليك وقلبه الملى بالحنان والحب والإشفاق، يُظهر بوضوح أنه يقبلك ويسامحك متى رجعت تائبًا.

ما أروع هذا المشهد المؤثّر في هذه القصة الجميلة، مشهد الأب الحنون الذي اقترب إلى ابنه العاق بسرة ليحتضنه و يقبله. انه يصوّر أيضًا عمل الله المبارك الذي يبادر ويقترّب بنفسه إلينا، إنها الأحضان الأبوية الحانية المشتاقة لقبول ومسامحة كل خاطئ تائب!

الله يحبّك كما أنت " الله بيّن محبته لنا إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رسالة رومية ٥: ٨).

لباس جديد

أراد الابن مجرد قبول أبيه له، فهو بحالته المزرية وتعدّيه المُشين ولباسه الرثّ النتن، لم يكن يحلم بأكثر من أن يجد مكانًا يأويه ولقمة تحميه من الجوع. بكلمات أخرى ان يعمل عنده كأجير ليضمن معيشته يومًا فيومًا.

لكن المفاجأة كانت كبيرة، فالأب كساه بالحلّة الأولى وقدم له خاتمًا ثمينًا يذكّره بمكانته كابن وكذلك حذاءً لينتعله، كان الأب يُعلن بهذا العمل عن قبوله كابن معزّز مكرّم في بيته. طبعًا هذه مجرد قصة، لكنها تمثل قبول الأب السماوي للخاطئ الضال المتمرّد الذي تاب وصمّم على الرجوع إليه. هذا هو الأب الحقيقي الذي يقدم الغفران ويفيض بالحنان ويكسو حتى الأبدان. ما أحلى تلك النقلة التي عملها الله في حيا كل تائب راجع بدموع، فهو "الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته" (رسالة كولوسي ١: ١٣).

لقد أنقذنا من الذلّ والعبودية إلى الإكرام والبنوية  
من البعد والغربة إلى القرب والشركة  
من الكورة البعيدة إلى بيت الأب

أيها العزيز، ابتدئنا بالصفات السلبية لكن شكرًا لله أنّه يحوّل المرارة على حلاوة والقسوة إلى لطف واللعنة إلى بركة انه يغيّر الحياة إلى الأفضل. عندما ترجع إلى الله بالإيمان فأنت تأخذ حياة الله وتنطبع فيك صفاته الأدبية أيضًا

فان كان الإنسان الطبيعي، كما ذكرنا محبًا لنفسه، ففي حياة الإيمان يصير محبًا لله وللآخرين. بدل العبودية للمال والتعلّق المرّضي به فانه يستعمل المال كوكيل عليه من الله. بدل التعظّم والكبرياء يتعلّم الإنسان المؤمن ما هو التواضع الحقيقي. مكان التجديف والتعدي يحلّ الشكر لله وللآخرين. بدل النجاسة والقساوة يتسرّب المؤمن بالقداسة والحنان والطاعة للوالدين.

عندها فقط يمكن لكلّ منا أن يعرف ويختبر ما هي النزاهة والصلاح والأمانة إلى ما هناك من صفات رائعة لا يمكن أن يعطيها سوى الله نفسه ولا يقبلها إلا من اختبر شخصه وذاق حبه متمنّعًا بخلاصه.

هل رجعت أنت؟؟

نعم نحن في الأيام الأخيرة وقد فصلنا سماتها ومميّزاتها. قد يكون ما سلف كلامًا مقنّعًا لكثيرين فالتعابير والمحفّزات والنتائج رائعة وجذّابة، لكن لا يمكن أن نتمتّع بها إن لم نخطّ خطوة عمليّة ننقل بها من القناعة بالموضوع إلى القرار العملي لإتباع الرب.

إننا نتحدث هنا عن ليس عن مجرد امتناع أو رجوع عن الخطية والشر، بل أيضاً عن رجوع إلى الله. تقول كلمة الله: رجعت من الأوثان لتعبدوا الله الحي الحقيقي.  
رأينا ذلك الإنسان الضال يترك الضياع والبعد لكن ليس إلى فراغ، بل يعود إلى حضن أبيه...  
يعود إلى البيت.

انتبه أيضاً أنه ليس رجوعاً عاطفياً أو حتى عقلياً (فكرياً)، بل هو رجوع حقيقي كامل.  
هل تريد أن تختبر محبة الله وخلصه وأن يكون لك نصيب في خلاصه العجيب؟  
تعال بتوبة صادقة وسر مع الله وستجد أن لك مكاناً عنده ونصيب معه.  
تعال وتمتع بالشركة معه وذوق لذة الراحة والسلام والكفاية في المسيح.

### لا للتأجيل

متأثراً بقصة الابن الضال، كتب شاعر ترنيمة تحت على الاقتراب الى الله:  
فتعال لا تؤجل كل من الخيرات عجل  
كذا ثوب العرس لأجلك أكمل فتعال بالايمان

### جنتك ابي

1- جنتك ابي لابتغي طعاما بعد ان ضيعته مالا حراما  
هل ستعفو ثم تعطيني سلاما بل تقبلني بحب قد تسامي غافرا كل خطاياي تماما

### القرار

مجدا لك ابتي اله كل نعمة مجدا لك ابتي مجدا لك

2- جنتك من غير شئ في يدي خاتما البستني عهدا ثنيا  
عهد نعماك الذي فيه ساحيا اذ تدوم النعمة ما دمت حيا  
كم انا فيه ابي صرت غنيا

3-جئتك بالجوع والذل حزينا ارتجى بعض الطعام  
لي ضنينا هيات نعمالك لي عجالا سمينا اذ فرحت  
بي ابي فرحا ثمينا رددته الجند في السما يقينا

4-جئتك يا ابتي في كل بؤس ارتجى اجرا كعبد قوت نفسي  
هل اعود ابنا لك من بعد امس ابتي اكرمتني رفعت راسي  
بل عملت لي ابي حفلا كعرس

5-قد فهمت الدرس درسا للزمان في ابتعادي عنك جوعي بل هواني  
في وجودي معك عزي وطماني شبع الروح  
وستري واماني لا اعود ابعدها هنا مكاني

